المظاهر الطبيعية في مصر وبلاد الشام ٥٧٠-٦٥٨ هـ / ١١٧٥-١٢٦٠م وجهود الدولة الايوبية في مواجهتها

م.د جاسم محمد عباس
كلية الامام الكاظم ع للعلوم الاسلامية الجامعة/ اقسام واسط

المقدمة :

الحمد الله رب العالمين وافضل الصلاة واتم التسليم على خاتم النبيين نبي الرحمة محمد (صلى الله عليه وآله) وعلى آله الطيبين الطاهرين أئمة الرحمة والهدى واليقين، أما بعد ...

تعرضت الدول الإسلامية الى انواعا مختلفة من الأزمات الطبيعية من جفاف وفيضانات وآفات زراعية وغيرها ،اثر على انتاجها الزراعي والصناعي ،وتسبب في تراجع اقتصادها، فضلا عن انعدام الأمن والاستقرار فيها ،من ذلك ما تعرضت له مصر وبلاد الشام خلال حكم الأيوبيين ،لذلك جاء بحثنا هذا تحت عنوان (المظاهر الطبيعية في مصر وبلاد الشام ٥٧٠-٦٥٨هـ/١١٧٥-١٢٦٠م وجهود الدولة الأيوبية في مواجهتها) . ويهدف البحث الى تسليط الضوء على اجراءات رجال الدولة والمسؤولين الأيوبيين في مواجهة تلك الأزمات ، وهل انها كانت بمستوى المسؤولية أم غير ذلك ؟

من هنا ارتأى الباحث أن يبحث وينقِّر في بطون كتب التاريخ عن تلك المظاهر المريرة التي أوجعت الناس وذكرت عرضا في الأخبار . وقسم بحثه على محورين، خصص كل واحد منهما للحديث عن طائفة من تلك الظواهر التي أهلكت الناس، وعن إجراءات الدولة الأيوبية الحاكمة لمواجهتها .

المحور الأول- مظاهر الجفاف والقحط والمجاعات في مصر وبلاد الشام وجهود الدولة الأيوبية في مواجهتها

اجتاحت مصر وبلاد الشام إبان العصر الأيوبي عدة أزمات طبيعية، منها وقوع أنواع مختلفة من الظواهر الطبيعية المدمرة، مثل: الجفاف، والفيضانات، والآفات الزراعية، وهجمات القوارض واسراب الجراد، مما أدى إلى تدمير الحقول، وقتل الأشجار المثمرة؛ الذي أدى بدوره إلى نقص شديد في الغذاء؛ فأفضى بدوره إلى حدوث مجاعات قاسية، صاحبها غلاء في الأسعار، أدى إلى الفتك بأرواح الكثير من الناس، فضلاً عن الاضرار والخسائر التي لحقت بالقطاع الزراعي والحيواني .

ولما لذلك من أثر بالغ في القطاع الاقتصادي ومعايش الناس في الدولة الأيوبية، وعلى سلطة الأيوبيين أنفسهم، ولخشيتهم من غضبة الناس الجائعة، لاسيما وأن الدولة كانت في وضع غير مستقر كونها تخوض حرباً ضروساً مع الصليبيين من جانب، وتشكو من الأزمات بين الأمراء من أبناء الأسرة الحاكمة من جانب آخر(١) فقد سعت إلى التعامل مع هذه الأزمات في محاولة منها للتقليل من معاناة الناس،وامتصاص غضبهم، عبر اتخاذها عدة إجراءات لاحتواء أثار هذه المظاهر، والسيطرة على تداعياتها الأقتصادية، لاسيما وأن الوضع العام كان يمر في مرحلة خطيرة بسبب تنافس السلاطين الأيوبيين فيما بينهم، وهو ما صرح به المقريزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م)بوصفه واقع حالهم في حديثه عن سنة (٥٩٠/١١٩٣هـ)وما تلاها، بقوله: "دخلت سنة تسعين: وقد تنافرت القلوب، وقويت الوحشة بين الأخوين، واجتمعت الأمراء الصلاحية على أن يكون الأمر كله للعزيز، فاضطربت أحوال الأفضل. وخرج العزيز من القاهرة بعساكر مصر من الصلاحية والأسدية والأكراد وغيرهم، يريد الشام لانتزاعها من أخيه الأفضل"(٢) .

يبدو لنا ان هذا النزاع الذي وقع في البيت الأيوبي كان له الأثر البالغ في مواجهة المظاهرالطبيعية،اذ شغل السلاطين الأيوبيين عن وضع حدا لها ،فلم تساهم تلك الاحداث التي المت بهم على تفادي أثارالكوارث التي أثرت تأثيرا كبيرا في حياة الناس في مصر وبلاد الشام أجتماعيا وأقتصاديا،كما سنرى لاحقا .

لقد كانت ظاهرة الجفاف واحدة من أخطر تلك الكوارث، لاسيما أن الأيوبيين أهملوا قطاع الري ،اذ كان المزارعون يعتمدون على الأمطار المتساقطة لري مزروعاتهم(٣) .

وتعد ظاهرة الجفاف والقحط من اخطر المشاكل البيئية التي اجتاحت مصر وبلاد الشام في تلك الحقبة،اذ شهدا خلال العصر الأيوبي موجات قوية من الجفاف، صاحبها في أحيان كثيرة حدوث المجاعات،وقد أسهمت تلك الظروف المناخية القاسية في الحاق الضرر بالأراضي الزراعية، وبالنتيجة ارتفاع أسعار الغلال لقلة العرض وزيادة الطلب؛ بسبب قلة المطر، وارتفاع درجات الحرارة، فعجز معظم الناس عن شراء أقواتهم وما يسد جوعهم. ففي مصر الحقت موجات الجفاف التي ضربت البلاد سنة (٥٩١ هـ/ ١١٩٤م) خسائر بشرية ومادية كبيرة، عظمت فيها استغاثة الناس من شدة الجوع(٤) واستمرت المجاعة إلى سنة (٥٩٢هـ / ١١٩٥م) فحصدت أرواح الكثير من الناس؛ حتى بالغ من أرخ لذلك بتقديره لعدد من كان يتوفى يومياً في مصر والقاهرة بمائتي شخص (٥) .

ونظراً لشدة الحال وغلاء اسعار المواد الغذائية الضرورية، انعدمت القدرة الشرائية لدى كثير من الناس ،ولاسيما الطبقات الفقيرة والمعدمة منهم، وقد وصف (المقريزي) شدة حال المصريين من جراء هذا الجفاف بقوله: "ضاق الخناق، وهلك الضعفاء، وفشا الموت؛ وأكثره في الجياع، وصارت الاقفاص التي يحمل بها الطعام، يحمل فيها الأموات، وامتدت الايدي الى خطف الواح الخبز، ويضرب من ينهب، ويشج رأسه، ويسال دمه ولا ينتهي، ولا يرمي ما في يده مما خطفه"(٦) كما رصد ايضا ظاهرة تزايد عدد الوفيات بشكل غير طبيعي، بقوله: "وصار أمر الموتى أكثر أشغال الأحياء، وما ينقضي يوم إلا عن عدة جنائز من كل حارة"(٧). وتكررت ظاهرة الجفاف وارتفاع درجات الحرارة نفسها في سنة (٥٩٦هـ / ١٢٠٠م) عندما انخفض مستوى المياه في نهر النيل، وصاحبه حدوث مجاعة عظيمة في مصر (٨) استمرت الى سنة (٥٩٨هـ /١٢٠٢م)، وكانت قد بلغت ذروتها في سنة (٥٩٧هـ / ١٢٠١م) وقد وصفت بانها "مفترسة أسباب الحياة" (٩). واضطر الناس في أثرها إلى أكل الجيف والحيوانات النافقة من شدة الجوع، حتى وصل بهم الامر الى أكل لحوم البشر، وانتشرت ظاهرة القتل بين الناس لأجل أكل لحومهم، حتى وصلت إلى أفراد الأسرة الواحدة، ويروى في هذا الصدد رواية -لا نضن أنها تخلومن المبالغة- أن بعضاً من الناس رأى مع عجوز طفلاً تأكله، فاعتذرت مبررة ما فعلته بقولها: "إنما هو ولد ابنتي وليس بأجنبي مني، ولأن آكله أنا خيراً من أن يأكله غيري"(١٠) ودل هذا على حجم البشاعة وقسوة القلب التي وصل إليها إنسان ذلك العصر تحت وطأة الجوع والفاقة.

وقد قوبلت هذه الاعمال البشعة في بداية أمرها بالرفض والاستنكار، لكن مع استمرار وتفاقم الأزمة، واستفحال امر المجاعة واستمرارها، صار أكل لحوم البشر أمرا في حكم المألوف؛ الذي لا يستحق أن يُتعجب منه(١١) لذلك تفنن الناس في ابتكار الوسائل والحيل كي يصطاد بعضهم بعضاً، ومن ثم قتله وطبخه وبعدها أكله، ومن تلك الحيل والمكر ان البعض كان يقوم بتأجير مراكب بثمن بخس في الطريق الواصل ما بين الفيوم(١٢) – الاسكندرية وعند منتصف الطريق كانوا يقتلون الركاب ليأكلوا لحومهم . (١٣)

ودخلت سنة (٥٩٨هـ / ١٢٠٢م) والمجاعة ما زالت ضاربة أطنابها في مرابعهم، وتراوح مكانها تأبى أن تفارقهم، وارتفع عدد الضحايا بسبب ذلك، وقدرت المصادر أن ثلاثة أرباع سكان مصر، هلكوا في هذه الكارثة (١٤) . ونعتقد ان هذا العدد مبالغ فيه، لا يمت إلى الواقع بصلة لكنه يؤكد في الوقت نفسه أن هذه المجاعة تسببت في إزهاق أرواح الكثير من المصريين. وفي سنة (٦٢٨هـ / ١٢٣١م) حل الجفاف والقحط في أرض مصر نظراً لانخفاض مستوى مياه نهر النيل، فأشتد الأمر على أهلها، وعظم الجوع، ووقع الغلاء والقحط، وتزايدت أعداد الضحايا لاسيما بين الفقراء والمساكين (١٥) .

أما عن الإجراءات المتبعة من الدولة الأيوبية لاحتواء هذه الأزمات، فيبدو من خلال النقول أن الأيوبيين عملوا على معالجة الأزمة واحتوائها، رأفة ورحمة بالناس، بل ولخطورتها على دولتهم؛ التي كان تشكو من المشاكل والأزمات، لاسيما صراع الأمراء على السلطة، والخطر الخارجي، فضلا عن الغليان والغضب الشعبي(١٦) فقامت بتقديم بعض المساعدات العاجلة إلى المتضررين والمنكوبين من جراء الجفاف والقحط، لامتصاص غضب الناس عن طريق التخفيف من حدة هذه الكارثة وما أحدثته من فقر وجوع ومرض، فعندما حدث جفاف (٥٩٦- ٥٩٧هـ /١٢٠٠-١٢٠١م) واشتد القحط والجوع على المصريين بذل السلطان العادل ابو بكر بن أيوب (٥٩٦-٦١٥هـ/١٢٠٠-١٢١٨م) جهوداً حثيثة لاحتواء هذه الكارثة وذلك عبر قيامه بعدة إجراءات منها: أصدار أوامرعاجلة بتوزيع الفقراء والمساكين على كبار رجال الدولة من أمراء ووزراء للتكفل بإطعامهم، في حين تكفل هو بإطعام ستة الآف فقير، وكان يتجول ليلاً بين المدن المصرية، ويشرف بنفسه على توزيع المساعدات والأموال على المتضررين من فقراء ومساكين وغرباء[١٧] كما تكفل تكفين ما يقرب من ٢٢٠ الف ضحية [١٨]. فضلاً عن ذلك اوعز لرجال الأمن بملاحقة جميع المشتبه بهم بأكل لحوم البشر، فقد روي أنه خلال هذه الكارثة كان الرجل يقوم بذبح ولده الصغير، وتساعده زوجته على طبخه، ويأكلونه سوية، فقام رجال الشرطة بعمليات ملاحقة ودهم لأوكارهم[١٩] ونفذت بعض العقوبات الصارمة بهم، وفي هذا الصدد، قال ابن آيبك الدواداري (ت٧١٣هـ / ١٣١٤م) ما نصه :"لما اطلع السلطان على ذلك، مسك منهم جماعة فعلوه، فأمر بحرقهم ، فأحرقوا بمشاهدة جميع الناس"[٢٠] .

يبدو أن تلك الإجراءات لم تؤت ثمارها، إذ سرعان ما عاد بعض الناس – من شدة الجوع طبعا – إلى فعل ذلك مع من يمسكون به، فكانوا مثلا يتحينون الفرص للإمساك بالطبيب الذي يدُعى ليكشف على المريض، عندما يصل إلى دار المريض يثبون عليه، ويذبحونه ويأكلونه، وكذلك كانوا يفعلون بالصغار والصبيان بعد خطفهم من الأزقة والحارات، فكثرت أعداد ضحايا تلك الأعمال الإجرامية البشعة التي كان دافعها الجوع، حتى صلى خطيب جامع الإسكندرية في أحد الأيام على ٧٠٠ جنازة من وجهاء الناس، في حين لم يعبأ ببقية الضحايا [٢١].

كما اتخذ السلطان الكامل محمد بن العادل (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٧م) إجراءت فورية لاحتواء ظاهرة الجفاف والقحط التي ضربت مصر سنة (٦٢٨هـ / ١٢٣١م) وذلك بسبب انخفاض مناسيب مياه نهر النيل وتكرار نقصانه للسنوات(٦١٨هـ/١٢٢١م)،(٦٢٢هـ/١٢٢٥م)،(٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ودام ذلك الى سنة(٦٢٨هـ/١٢٣١م) فضلا عن قلة الأمطار مما أدى إلى تضرر الإنتاج الزراعي، فاشتد الغلاء على الناس مما اضطرت الدولة إلى فتح مخازن الحبوب الاستراتيجية أمام الناس، وقامت بتوزيع بعضها على الافران والمخابز، وباعتها على أصحابها بأسعار مدعومة.(٢٢)

ومن اجل ايصال المياه لسقي الاراضي وتوفير المياه الصالحة للشرب للأهالي، أوعز السلطان إلى الجهات المسؤولة لحفر القنوات المائية في مصر،ثم قسم حفر هذه القنوات على المنازل في القاهرة وغيرها بالتساوي، وشارك في هذا العمل كبار موظفي الدولة الأيوبية من وزراء وأمراء فضلاً عن عامة الناس، كما شارك السلطان الكامل بنفسه في حفر هذا المشروع [٢٣] .

اما بلاد الشام فقد شهدت خلال حقبة البحث حدوث عدة مواسم من الجفاف والقحط، التي تركت آثارها المدمرة من مجاعة وغلاء، ففي سنة (٥٧٤هـ /١١٧٩م) انحبس سقوط الأمطار في سائر المدن الشامية، ولما كانت الزراعة فيها تعتمد اعتماداً كبيراً على مياه الأمطار فإن قلة سقوطها ألحق خسائر كبيرة في المحاصيل الزراعية، ادت الى تضخم الأسعار بشكل حاد، وضربت البلاد مجاعة شديدة، أضطر الناس فيها الى أكل الميتة والجيف، وتبع ذلك انتشار الأمراض الخطيرة التي فتكت بأرواح الكثيرين [٢٤] .

وقد وصف ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) شدة جفاف هذه السنة وآثاره المدمرة على الشاميين، بقوله :"في هذه السنة انقطعت الأمطار بالكلية في سائر البلاد الشامية ...واشتد الغلاء، وكان عامًا في سائر البلاد، فبيعت الغرارة الحنطة بدمشق...بعشرين دينارا صورية... واستسقى الناس...فلم يسقوا، وتعذرت الأقوات، وأكلت الناس الميتة"(٢٥) .

وفي سنة (٥٨٨هـ/ ١١٩٢م) ضربت مدينة (انطاكية)(٢٦) مجاعة كبيرة، وصفت بالمروعة، وكان سببها الجفاف الناتج عن قلة سقوط الأمطار، أسهمت بموت الكثير من الناس. ونظرا لكثرة أعداد الموتى، أصبح من العسير على ذويهم دفنهم، ولشدة ضراروة وقسوة الكارثة، كان من بقي منهم حياً يتمنى الموت، ثم إنهم عندما حل فصل الربيع، خرجوا إلى الحقول، واكلوا الحشائش، وفعلوا مثلما ترعى المواشي في الحقول[٢٧] . وفي سنة (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م) انحبست الأمطار عن بلاد الشام، وتسبب ذلك في شحة المياه، فأثر بدوره في الإنتاج الزراعي، فلم يثمر شيء من المحاصيل الزراعية إلا القليل، وارتفعت الأسعار بشكل يفوق كل التوقعات [٢٨] .

وقد اتخذت الدولة الايوبية إجراءات عدة لاحتواء مواسم الجفاف والقحط في بلاد الشام، فعمل سلاطينها على تخفيف وطأة الجوع عن كاهل الرعية، ولذا نجدهم حينما ضربت المجاعة مدينة (انطاكية) سنة (٥٨٨هـ / ١١٩٢م) انبرى السلطان صلاح الدين الايوبي جاهداً للتخفيف من شدتها، فأرسل المساعدات والإمدادات الغذائية للسكان، وامر بحفر الأحواض المائية، وحمل المياه الى السكان مخففا بذلك الأمر عنهم [٢٩].

وبعد هذه الأزمات المتكرره، وحرصا على توفير الخدمات العامة الى الناس، عنيت الدولة الأيوبية بتنظيم مياه الرأي، فوزعت المياه، وأوصلتها الى الدور والمساجد والمرافق العامة الأخرى، عبر شقها لقنوات عديدة وفق نظام وتخطيط هندسي محكم، كما عملت على إيصال المياه الى الأراضي الجرداء لإحيائها والاستفادة منها زراعياً، فحفر الأيوبيون الصخور وأوصلوا المياه [٣٠] .

ولحرصها على الحفاظ على مشاريع الري وديمومتها، رصدت الدولة الأوقاف الدارة على القنوات الأروائية؛ من اجل الإنفاق عليها لعمارتها وإصلاحها [٣١] .

وشرع بعض سلاطين الدولة الأيوبية في إنشاء بعضاً من المشاريع العمرانية وفق المنهج نفسه، الذي أنشئت من أجله ،وهو خدمة للصالح العام، ففي سنة (٦٠٥هـ / ١٢٠٩م) إنشأ السلطان الظاهر غازي بن صلاح الدين الايوبي (٥٨٢-٦١٣هـ/١١٨٦-١٢١٦م) حاكم مدينة حلب مشروعاً اروائيا لتوفير المياه الصالحة للشرب لأهل المدينة ،ولمساعدتهم في مواجهة موسم الجفاف والقحط، حيث قام بكراء قناة حلب، ثم تغليفها بالاحجار الكلسية، فأوصل المياه الصالحة للشرب الى مختلف المدن الحلبية، وقد استمر العمل بهذا المشروع الخيري لمدة شهرين، حيث كان السلطان الظاهر يشرف بنفسه على تنفيذه عبر قيامه بإحضار المهندسين والعمال المهرة، ووفر كل ما يحتاجونه من مواد وعدد [٣٢] .

ومما لاشك فيه أن الحلبيين عدوا هذا المشروع من منجزات الدولة الايوبية التي قدمها السلطان الظاهر غازي لمدينتهم، فوصل صدى هذا العمل الى الأدباء والشعراء، فأنبرى بعضهم يصدح بقصائده التي أثنى من خلالها على جهود السلطان وعمله حيث قال :

"روئ ثرى حلب فعادت روضة انفاً وكانت قبله تشكو الظمأ

احيا موات رفاتها فكأنه عيسى بأذن الله احيا الاعظما"(٣٣)

يتضح مما تقدم ان الدولة الايوبية عملت بشكل دؤوب لمواجهة تلك المظاهر الطبيعية من جفاف وما نتج عنه من قحط ومجاعات ،في محاولة منها للتخفيف عن كاهل الناس ،فلم تهمل المشكلة بل أخذت على عاتقها تحمل المسؤولية ،فمدت يد العون في محاولة منها لأغاثة ونجدة المنكوبين .

المحور الثاني- مظاهر العواصف والأعاصير والآفات الزراعية في مصر وبلاد الشام وجهود الدولة الأيوبية في مواجهتها

تعرضت مصر وبلاد الشام لظروف مناخية قاسية كالعواصف والأعاصير، فضلاً عن هجمات القوارض والجراد، وهي بمجموعها أزمات ألحقت الكثير من الضرر بالناس، وأدت إلى وقوع خسائر مادية كبيرة بالمزارعين بشكل خاص، وباقي الناس بشكل عام، ففي سنة (٥٨٠هـ / ١١٨٤م) هبت على مدينة القاهرة عواصف رعدية شديدة مصحوبة بهطول كميات من الأمطار الغزيرة، فألحقت أضرارا فادحه بالأراضي الزراعية [٣٤] . وفي سنة (٥٨٧ هـ/ ١١٩٠م) هبت رياح عاصفة مصحوبة بهواء حار على مصر، واستمرت مدة ثلاثة أيام، وألحقت خسائر مادية كبيرة في المحاصيل الزراعية [٣٥] .

وضربت مصر في سنة (٥٩٣هـ / ١١٩٧م)رياحٌ عاصفة، صاحبها حدوث صواعق رعدية شديدة، أودت بحياة الكثيرين، وقد وصف هول ذلك وشدته على الناس المؤرخ المعاصر لتلك الأزمة أبو شامة (ت ٦٦٥هـ /١٢٦٧م) بقوله: "أتى عارض فيه ظلمات متكاثفه وبروق خاطفة ورياح عاصفة قوية الهوبها، واشتد هبوبها، وارتفعت لها صعقات ... ولاتزال هذه الرياح تسكن سكوناً خفيفاً ثم تعاود عوداً عنيفاً ... وفر الناس رجالاً ونساءً وأطفالا، ونهبوا من دورهم خفافاً وثقالاً لايستطيعون حيله ولايهتدون سبيلاً ... الى ان اذن الله في الركود، واسعف الهاجدين في الامر بالهجود، واصبح كل مسلِّمٌ على رفيقه، ويهنيه بسلامة طريقه " [٣٦] .

وللمواجهة تلك المظاهر الطبيعية القاسية، كانت الدولة تكتفي بتكليف بعض موظفيها بكتابة التقارير عن حجم الاضرار التي خلفتها تلك العواطف والاعاصير،من أجل ان تقوم بمساعدة المناطق المنكوبة وإعادة إعمارها، كما فعلت مع ظاهرة هبوب الرياح الحارة القوية في سنة (٥٨٧هـ / ١١٩١م) حيث تضرر من جراء ذلك جامع (المقس)[٣٧] وكاد ان يسقط، فأمرت الدولة الأيوبية بإصلاحه وإعادة إعمار ما تهدم منه [٣٨] .

وفي محاولة من الدولة لتجميل صورتها في مصر ساهم بعض الامراء الايوبيين في تقديم يد المساعدة للفقراء والمساكين ،لاسيما في اوقات الازمات الاقتصادية الناجمة عن حدوث الكوارث الطبيعية،ومن هؤلاء الامير بدر الدين لؤلؤ(٣٩)الذي اشاد به المؤرخ ابو شامة مثنيا على موقفه بقوله:"من مبراته الظاهرة انه لما حط القحط رحله ووصل المحل محله ،وتم الغلاء وعم البلاء ابتكر هذا الحاجب –يعني بدر الدين-مكرمة لم يسبق لها وذلك انه كان يخبز كل ليلة اثني عشر الف رغيف فإذا أصبح جلس على باب الموضع الذي فيه حشر الفقراء ثم يفتح من الباب مقدار ما يخرج منه واحدا بعد واحد ويعلم انه غير عائد ،فيتناول كل منهم قرصة ويرى ذلك من خيراته فرصة فما يزال قاعدا حتى يفرق الآلوف"(٤٠)

وقد تعرضت بلاد الشام هي الأخرى إلى المزيد من العواصف والأعاصير، من ذلك تعرض مدينة عكا في سنة (٥٨٦هـ / ١١٩٠م) إلى عاصفة قوية، أدت إلى تلف الثمار صيفيها وشتويها، وأفسدت بعض الأشجار [٤١] .اما في سنة (٥٨٩هـ / ١١٩٢م) فقد ضربت عاصفة رعدية عدة مناطق من مدينة حلب، وصفها ابن ايبك الدواداري بقوله "نزلت صاعقة بسيخ الحديد من عمل حلب، فقتلت جماعة" [٤٢]. وفي سنة (٦٠٢هـ / ١٢٠٥م) تعرضت مدينة طرابلس الشامية لاعصار شديد الحق بالمدينة أضرارا كبيرة، وغرقت من جرائه عدة سفن تابعة للاسطول الحربي الأيوبي مع طاقمها[٤٣] .

اما فيما خص الإجراءات المتبعة من الدولة الأيوبية لاحتواء تلك المظاهر الطبيعية المدمرة، فإنها لم تكن ايضاً بالمستوى المطلوب، وما يتناسب وشدة الكارثة، فلم توثق المصادر التأريخية من ذلك سوى قيام السلطان صلاح الدين الايوبي

خلال الاعصار الذي ضرب مدينة عكا سنة (٥٨٦ هـ / ١١٩٠م) بأرسال مساعدات عاجلة من مصر لاغاثة أهل المدينة على متن اسطول بحري، وضع فيه كميات من الجبن والبصل ولحوم الأغنام وسائر ما يحتاج إليه الناس، وادخل هذه الميرة الى عكا، لكن لسوء الحظ مع اقتراب هذه السفن من ميناء المدينة، واجهتها رياح عاتية فانقلبت السفن، وغرقت بما فيها من المساعدات وطاقم البحارة،وقد أرخ لهذه الحادثة المؤرخ الشامي ابن كثير (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣ م) بقوله :"قدم بطش [٤٤] من مصر فيه ميره تكفي أهل البلد سنة كاملة، فقدر الله العظيم، وله الأمر من قبل ومن بعد أنها لما توسطت البحر، واقتربت من الميناء، هاجت عليها ريح عظيمة فأنقلبت تلك البطش، وتغلبت عليها، فاختبطت واضطربت وتصادمت، فتكسرت، وغرقت، وغرق ما كان فيها من الميره والبحاره"[٤٥] .

على الرغم من هول تلك الكوارث وشدتها على الناس،وما سببته من خسائر بشرية ومادية،نعتقد ان هناك تقصيرا واضحا في الأجراءات المتبعة من قبل الدولة الأيوبية للمواجهة تلك المظاهر الطبيعية والسيطرة عليها . اما فيما يخص اجراءات الدولة الأيوبية لاحتواء ظاهرة الآفات الزراعية،فقد وقعت مصر وبلاد الشام خلال حكم هذه الدولة تحت تأثير ظاهرة الآفات الزراعية المختلفة،اذ هاجمت القوارض ،وأغارت أسراب الجراد، على معظم المدن في مصر وبلاد الشام [٤٦]. ففي سنة (٥٧٧هـ /١١٨١م) تعرضت مصر إلى هجمات القوارض؛ التي أضرت بمساحات واسعة من الأراضي الزراعية، وأرخ لهذه الحادثة المؤرخ النويري (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) بقوله: "في سنة سبع وسبعين وخمسمائة، ظهر بالديار المصرية فئر كثير جداً ... وهو يرحل من بقعة إلى أخرى فيغطي الأرض بكمالها، حتى لا يظهر منها شيئاً البتة"[٤٧] .

وفي سنة (٥٩٦هـ / ١١٩٩م) اقتحمت مجموعات كبيرة من الفئران والدود الحقول الزراعية في مصر، والحقت بها أضرارا جسيمة،وأتلفت الكثير من المحاصيل الزراعية [٤٨] .

وعلى الرغم من الأضرار المادية الجسيمة التي لحقت بالمزارعين المصريين من جراء تلك الافات الزراعية، فأن الدولة الأيوبية لم تتخذ اي اجراء يذكر البته للتخفيف عن معاناة الناس، لذا نعتقد أنه كان الأجدر بها أن تعمل على إيجاد الحلول والطرق المناسبة لمكافحة هذه الآفات التي أضرت باقتصاد البلد،والعمل بشكل أكثر جدية للتعويض المزارعين وتشجيعهم على الاستمرار بالزراعة وعدم اليأس .

اما بلاد الشام فقد تعرضت هي الأخرى خلال حقبة البحث الى هجمات الآفات الزراعية، مثل الجراد الذي هاجم معظم مدن بلاد الشام عبر سلسلة من الغارات؛ التي قامت بها أسرابه، ففي سنة (٥٩٢هـ / ١١٩٥م) زاد الجراد في البلاد الشامية حتى "عظم خطبه " [٤٩] .

وفي سنة (٦١٩هـ / ١٢٢٢م) ظهر في بلاد الشام جراد كثير، وهاجمت أسرابه الأراضي الزراعية، فأكل الزرع والأشجار والثمار [٥٠] . وفي سنة (٦٢٠هـ / ١٢٢٣م) هاجمت اسراب الجراد مرة اخرى الاراضي الشامية، ووصلت ايضاً الى بلاد إسلامية اخرى [٥١].

ونظراً لما خلفته هجمات اسراب الجراد من اضرار على الإنتاج الزراعي للدولة الأيوبية، وما لذلك من تأثير في اقتصادها ،لاسيما وان الدولة كانت في حالة حرب مع الصليبيين،عمل الأيوبيين على ايجاد الحلول الناجعة لمكافحة اسراب الجراد المنتشرة في الأراضي الشامية،ومن حلولهم المثالية - بحسب اعتقادنا - جلبهم لنوع من الطيور التي يكون الجراد وجبتها الغذائية الرئيسية، ويسمى (السمرمر)[٥٢] وله القدرة الفائقة على القضاء على الجراد،فلما أغارت أسراب الجراد على مدينة حلب في سنة (٥٩٢هـ / ١١٩٥م) انتدب حاكم المدينة السلطان الظاهر غازي بن صلاح الدين الأيوبي مجموعة من الاشخاص لجلب هذا النوع من الطيور من البلاد التي يعيش فيها، وفي هذا الصدد، قال (النويري) ما نصه: "أُعلم الملك

الظاهر غازي صاحب حلب عن طائر يسمى السمرمر، اذا ظهر الجراد في البلاد، أُحضر اليها ماء مخصوص، فيتبعه ذلك الطائر، ويقع على الجراد فيتلفه، ويستخرج بيضه من التراب وينظف البلاد منه ... فندب ثلاث نفر من العجم ذوي القوة في أبدانهم والصبر على مشقة المشي في أسفارهم، وأزاح علتهم بنفقة وسعها عليهم، وساروا إلى خوزستان، واستدلوا على الضيعة التي هي من عملها، وفيها هذا الماء، فوصلوا اليها، وحملوا من الماء ... ولم يزالوا على ذلك إلى أن وصلوا إلى حلب، فعُلِّق ذلك الماء، فوصل ذلك الطائر في جمع كجمع الجراد واكثر ... ووقع على الجرد فأتلفه، واستأصله، وقيل إنه كان يأكل الجرادة والاثنتين والثلاث والاربع في دفعه، ويرميها في الحال من بطنه ، وانه يتبع مكان بيضه في الأرض، فيبحث عنه بمناقيره، ويخرجه، حتى صارت الأرض كالغربال من اثر نقره، وان الجراد ارتفع من الشام" [٥٣] .

ونعتقد ان المؤرخ (النويري) لم يكن دقيقا في روايته ،لأن هجمات الجراد سريعة وسفر اولئك الأعاجم يحتاج الى فترة طويلة تكون خلالها الأضرار قد وقعت والجراد قد ذهب . فعلى الرغم من ذلك في سنة (٦١٩هـ /١٢٢٢م)اغارت أسراب الجراد مرة اخرى على بلاد الشام، وكان هدفها هذه المرة مدينة دمشق؛ وبشكل كثيف جداً مسببة خسائر جسيمة في المحاصيل الزراعية، الا ان السلطان المعظم عيسى بن العادل (٦١٥-٦٢٤هـ/١٢١٨-١٢٢٦م) حاكم المدينة حاول السيطرة على الموقف، واحتواء ذلك، فأرسل محتسب دمشق المعروف الصدر البكري (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٢٧م)(٥٤) الى بلاد العجم لإحضار طائر السمرمر الذي يأكل الجراد [٥٥] . لكن ما يؤسف له ان نجد حتى في موضوعة طائر السمرمر كان بعض سلاطين الدولة يستغل الحديث عن هذا الطائر كغطاء للتآمر على بعضهم، اذ يبدو ان مهمة طائر السمرمر كان الهدف منها سياسيا وليس من اجل مكافحة الجراد المنتشر في بلاد الشام، بدليل ان المحتسب البكري التقى مع حاكم مدينة خوارزم، واتفق معه على مساندة السلطان المعظم عيسى في صراعه مع إخوته، فاجتمع معه، ونسق الأمور، وجعله سنداً لهذا السلطان[٥٦] .

يتضح مما تقدم ان اجراءات الدولة الأيوبية للمواجهة مظاهر العواصف والأعاصير والآفات الزراعية لم تكن بمستوى المسؤولية، فكانت اجراءات الدولة باهتة ،لاابالية، ولعل ذلك يرجع الى امكاناتها وقتذاك لا تسمح بتقديم المزيد من المساعدات .

الخاتمة :- بعد ان اعانا الله سبحانه وتعالى على اتمام هذا البحث توصلنا الى نتائج عدة ، اهمها:-

- على الرغم من ان المصادر احجمت عن ذكر ذلك بلاشك ان موجات الجفاف والقحط وغيرها من الظواهر الطبيعية التي اجتاحت كل من مصر وبلاد الشام قد اثرت على السكان وادت الى موجات هجرة واسعة الى البلدان المجاورة وبلاريب ان اهم الشرائح الاجتماعية النازحة هم المزارعين والعوام من الناس الامر الذي اثر على اقتصاد السلطة الايوبية لاسيما الخسائر التي لحقت بالقطاع الزراعي بسبب ذلك .

- كشف البحث عن ان معظم الاجراءات التي تبنتها السلطة الايوبية لاحتواء الظواهر الطبيعية كانت وقتية اذ انها لم تضع الحلول الناجعة لتفادي تكرارماحدث في المستقبل ، فضلاً عن ذلك انها اهملت دعم ومساندة المزارعين –الشريحة الاكبر تضرراً من جراء تلك الكوارث- فلم تمد يد العون والمساعدة لهم عبر تعويضهم مالياً او وضع خطة تضمن توفير وتهئيه المستلزمات الزراعية ولاستعداد الموسم الزراعي القادم لاهمية القطاع الزراعي سيما وان السلطة تخوض حرباً مع الصليبين .

- ادى كل من الجوع والفقر والفاقه الناتجة عن ظواهر الجفاف والقحط الى انعدام القيم الدينية والاخلاقية لبعض الشرائح الاجتماعية في مصر وبلاد الشام فتفشت حوادث القتل والسرقة واكل اللحوم المحرمة شرعاً كالقطط والكلاب والميتة، فضلاً عن اكل لحوم البشر .

هوامش البحث :-

(١) ينظر:ابن كثير ، البداية والنهاية،ج١٣/ص٨-١١،٩-١٢، ٢٧

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١/ ص ٢٣١ .

(٣) ينظر:ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣/ص١٢٨ .

(٤) ينظر:المقريزي،السلوك،ج١/ص٢٣٥ .

(٥) المصدر نفسه ،ج١/ ص ٢٤٣ .

(٦) المصدر نفسه،ج١/ص٢٤٤ .

(٧) المصدر نفسه ، ج١ / ص ٢٤٥

(٨) ينظر : ابن واصل ، مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، ج٣ /ص ١٢٩ ؛ اليافعي ، الكتاب: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج٢/ص ١٢٩ ؛ ابن الفرات ، التاريخ ، ج٤ / م ٢ ، ص ١٨٢ .

(٩) عبداللطيف البغدادي ، الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، ص ٤٩ وينظر ايضا : الذهبي ، دول الاسلام ، ج٢ / ص ١٠٤ ؛ المقريزي ، إغاثة الأمة بكشف الغمة، ص ٢٦.

(١٠) عبداللطيف البغدادي ، المصدر نفسه ، ص ٤٩-٥٠ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٤٩ .

(١٢) الفيوم : مدينة في مصر بينها وبين الفسطاط مسير اربعة ايام ، لايوجد فيها ماء ولاعشب وهي ارضاً منخفضه يعلوها نهر النيل . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ /ص ٢٨٦ .

(١٣) عبداللطيف البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص ٥٣ .

(١٤) ينظر : الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، ج٤ /ص٢٩٥ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج٢/ص٢٩٢ ؛ ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٤ /ص٣٢٨ .

(١٥) ينظر : ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر وجامع الغرر، ج٧ / ص ٣٠٤ ؛ السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢ / ص ٢٩٤ .

(١٦) ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ،ج٩ / ص ٤٨١ ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٤ /ص ٢٤٢ -٢٤٤ ؛ المقريزي ، السلوك ، ج١/ص ٣٥٤

(١٧) ابن ايبك ، كنز الدرر ، ج٧ /ص ١٤٨ ؛ المقريزي ، اغاثه الامة ، ص٢٥.

(١٨) ابو شامة ، الذيل على الروضتين ، ج٥ /ص ٣١ .

(١٩) ينظر : عبداللطيف البغدادي ، الافادة والاعتبار ، ص ٤٩-٥١ .

(٢٠) ابن ايبك الدواداري ، كنز الدرر ، ج٧ / ص ١٤٩ .

(٢١) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(٢٢) ينظر : ابن كثير،البداية والنهاية،ج١٣/ص ١٠٦،١٢٨ ؛السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج٢ /ص ٢٩٤ .

(٢٣) ينظر : ابن ايبك ، كنزالدرر ، ج٧ / ص٣٠٤ .

(٢٤) ينظر : ابو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ج٣ / ص٤٥ ، ٥٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ / ص ٣٠٠

(٢٥) الكامل في التاريخ ، ج١٠ /ص ٩٢ .

(٢٦) انطاكية هي احدى الثغور الشاميه اشتهرت بجمال طبيعتها وعذوبة مياهها وطيب هوائها وجودة ثمارها ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١/ص٢٦٦

(٢٧) ابن سمباط الارمني ، التاريخ (تاريخ ابم سمباط) ، ج ٣٥ / ص ٢٩٩ .

(٢٨) ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣/ ص ١٠٦ .

(٢٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠/ ص١٧٤ .

(٣٠) عبدالقادر بدران ، تهذيب تاريخ دمشق ، ج١ / ص ٢٤٩ ؛ كرد علي ، غوطة دمشق ، ص٢٦ – ٢٧ .

(٣١) ينظر : ابن شداد ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج١ / ق١ ، ص ٣٢٥ .

(٣٢) ينظر : ابن العديم ، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج١ / ص ٥٨-٥٩ ؛ ابن الوردي ، التاريخ ، ج٢ /ص ١٢٤ ؛ الغزي ، نهر الذهب فى تاريخ حلب، ج١ / ص ٥٨-٥٩ .

(٣٣) ابن العديم ، المصدر نفسه ، ج١ / ص ٥٨ ؛ ابن شداد ، الاعلاق الخطيرة ، ج١ / ق ١ ، ص ٣٥٢ .

(٣٤) ينظر : المقريزي ، السلوك ، ج١/ ص ٢٠٠ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ج١ / ص ٢٢١ .

(٣٦) الروضتين ، ج٤ / ص ٤٣٤ -٤٣٥ وينظر ايضاً : السيوطي ، حسن المحاضرة ، ج ٢ / ص ٢٩٠ .

(٣٧) جامع المقس : هو الجامع الذي انشأئه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، على شاطئ نهر النيل وسمي بهذا الاسم لمجاورته للمنظرة المقس التي كان يستعرض منها الخليفة الفاطمي اسطوله البحري قبل ذهابه الى القتال ، وعند عودته ، ينظر : المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٣ / ص ٢ .

(٣٨) المقريزي ، السلوك ، ج١/ ص ٢٢١ .

(٣٩) بدر الدين لؤلؤ: هو الامير الايوبي بدر الدين لؤلؤ من كبار الامراء في السلطة الايوبية وأحد رجالها المقربين من السلطان صلاح الدين الأيوبي ، حيث اسند اليه قيادة الاسطول الحربي ، عرف بالشجاعة والسخاء والكرم ، توفي في مصر سنة (٥٩٦ هـ / ١٢٠٠م) ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ / ص ٢٣ – ٢٤ .

(٤٠) الروضتين ، ج ٤ / ص ٤٦٧ .

(٤١) ينظر : ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج٢ / ص ٣٣٠ ؛ ابن الفرات ، التاريخ ، ج٤ / م ١ ص ٢٤٣ .

(٤٢) كنز الدرر ، ج٧ / ص ١٢٢ .

(٤٣) المصدر نفسه ، ج٧ / ص ١٥٩ .

(٤٤) البطش : جمع (بطشه) هي نوع من انواع السفن الحربية عبرت عنها المصادر التأريخية احياناً بـ (البطش) وتعني السفينة الكبيرة التي تتسع لاعداد كبيرة من الجند ينظر : النويري نهاية الإرب في فنون الأدب ، ج٢٨ / ص ٢٨٨ .

(٤٥) البداية والنهاية ، ج١٢ / ص٣٤٠ .

(٤٦) ينظر : المقريزي ، السلوك ، ج١ / ص ١٨٥ .

(٤٧) نهاية الارب ، ج٢٨ / ص ٢٤٥ .

(٤٨) ينظر : المقريزي ، السلوك ، ج١/ ص ٢٧٠ .

(٤٩) المصدر نفسه ، ج١/ص ٢٤٤ .

(٥٠) ابو شامة ، الذيل على الروضتين ،ج٥/ص١٩٩ ؛ ابن كثير،البداية والنهاية ، ج١٣/ص ٩٨.

(٥١) ابن الاثير ، الكامل ، ج١٠ /ص٤٣٧ .

(٥٢) السمرمر : هو نوع من انواع الطيور ذا لون اسود ينهزم الجراد منه عند سماع صوته ويتكثر وجوده في بلاد العجم وبذات منطقة خوزستان ، ينظر : النويري ، نهاية الارب ، ج ١٠/ ص١٨٠؛ ابراهيم مصطفى واخرون ، المعجم الوسيط ، ج١/ص ٤٤٨ .

(٥٣) نهاية الارب ، ج١ / ص ١٨٠ .

(٥٤) الصدر البكري : هو الحافظ ابو علي الحسن بن محمد بن عمروك الدمشقي ولد سنة (٥٧٤ هـ / ١١٧٩ م) درس الفقه والحديث بمكة ودمشق وخرسان ، عظمت منزلته في دولة السلطان المعظم عيسى ابن العادل حاكم دمشق فولاه مشيخة الشيوخ وحسبة دمشق توفي في مصر سنة (٦٥٦ هـ / ١٢٥٨م) متأثراً بمرض الفالج ، ينظر : ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٥/ص٢٧٤ .

(٥٥) ابو شامة ، الذيل ، ج٥ / ص ١٩٩ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ، ج٤٤ / ص ٥٨ .

(٥٦) ابو شامة المصدر نفسه والجزء والصفحة .

قائمة المصادر والمراجع :-

- اولاً المصادر :
- ابن الأثير ، ابوالحسن علي محمد بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣ م)
١- الكامل في التاريخ ،تحقيق عبدالله القاضي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٤ م) .
- ابن ايبك الدواداري ، ابوبكر بن عبدالله (ت ٧٤٤هـ / ١٣٤٣ م)
٢- كنز الدرر وجامع الغرر (الدر المطلوب في اخبار ملوك بني ايوب) تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور (القاهرة ، ١٩٧٢م)
- ابن حجر ، شهاب الدين احمد بن علي العسقلاني (٨٥٢هـ /١٤٤٨م) .
٣- بذل الماعون في فضل الطاعون ، تحقيق ابو ابراهيم كيلاني ، ط١ ، دار الكتب الاثرية (عمان ، ١٩٩٣م)
- الذهبي ، شمس الدين احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧م)
٤- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق عمرعبد السلام تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي (بيروت ، ١٩٨٧ م)
٥- دول الاسلام ، تحقيق حسن اسماعيل ، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٩م) .
٦- سير اعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي ، ط٩ ، مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٩٢ م) .
٧- العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ط٢ ، مطبعة حكومة الكويت (الكويت ، ١٩٨٤م) .
- ابن سمباط ، الارمني ،
٨- التاريخ ، تحقيق سهيل زكار ، منشور في الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية (دمشق ، ١٩٩٥م)
- السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥ م)
٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم ، ط١ (مصر ، ١٩٦٨م) .
- ابو شامة ، شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م)

١٠- الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) تحقيق ابراهيم شمس الدين ، ط ١ ، دارالكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٢م)
١١- الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق ابراهيم الزيبق ، ط١ ، مؤسسة الرسالة (بيروت ، ١٩٩٧ م)
- ابن شداد ، عزالدين محمد بن علي (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م)
١٢- الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، تحقيق يحيى زكريا عبارة وسامي الدهان ، وزارة الثقافة (دمشق ، ١٩٩١م)
- عبداللطيف البغدادي ، موفق الدين بن الباد (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣٢م)
١٣- الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، ط ١ ، مطبعة وادي النيل (مصر ، ١٨٦٩ م) .
- ابن العديم ، كمال الدين عمر بن احمد (ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م)
١٤- بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار ، دار الفكر (بيروت ، د .ت)
- ابن العماد الحنبلي ، عبدالحي بن احمد (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨م)
١٥- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط ، ط١ ، دار ابن كثير (دمشق ،١٩٨٥م)
- ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م)
١٦- التاريخ ، تحقيق قسنطنطين زريق ، كلية العلوم والاداب (بيروت ، ١٩٣٦م)
- ابن كثير ، اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣م)
١٧- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف (بيروت ، د . ت)
- المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)
١٨- اغاثة الامة بكشف الغمة ، تحقيق ياسر سيد صالحين (القاهرة ، ١٩٩٩م)
١٩- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٧م)
٢٠- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، مطبعة بولاق (مصر ، ١٨٥٤م)
- ابن نظيف الحموي ، ابوالفضائل محمد بن علي (ت ٦٤٢هـ / ١٢٤٥م) .
٢١- التاريخ المنصوري ، تحقيق ابوالعبد دودو ، مجمع اللغة العربية (دمشق ، د .ت)
- النويري ، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٣م)
٢٢- نهاية الارب في فنون الادب ، تحقيق مفيد قميحة ، ط١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ٢٠٠٤ م)
- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨ م)
٢٣- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ، تحقيق جمال الدين الشيال (مصر ، ١٩٥٣م)
- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن المظفر (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨ م)
٢٤- التاريخ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٩٦م)
- اليافعي ، ابو محمد عبدالله بن سعد (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م)
٢٥- مرأة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ، دار الكتب الاسلامية (مصر ، د . ت)
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ابوعبدالله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)
٢٦- معجم البلدان ، دار الفكر (بيروت ، د . ت)

ثانيا:- المراجع

- بدران ، عبدالقادر
٢٧- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ، ط٢ (دمشق ، ١٩٧٩م)
- الغزي ، كامل بن الحسين (ت١٢٧١هـ / ١٨٥٥م)
٢٨- نهر الذهب في تاريخ حلب ، دار القلم (حلب ، ١٩٩٨ م)
- كرد علي ، محمد
٢٩- غوطة دمشق ، ط ٢ ، مطبعة الترقي (دمشق ، ١٩٥٢م)
- مصطفى ابراهيم وأخرون .
٣٠- المعجم الوسيط ، دار الدعوة (القاهرة ، د .ت)